الإدمان .. ما هو ؟ وكيف يحدث ؟

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 3 أبريل 2016

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ذات مرة وفي تعزية لأحد قريباتي كان يجلس بقربي رجل كبير نوعًا ما في السن من الأهل، وخلال الأيام الثلاثة لفترة التعزية كنا نتحدث – كالعادة – في الشأن العام، ولكن مع مرور الوقت تأطرت روابط الثقة بيننا، فشعرت أنه يريد أن يقول بعض الأشياء التي تختلج صدره، ففسحت له المجال للتحدث، وبدأت أسمع لما يقول من غير تعليق اللهم بضع كلمات أو أسئلة التي تشجعه على الاسترسال في الكلام.

كان الرجل يتحدث عن ابنه المتوفى، ولكن قبل أن يتوفى كان هذا الشاب أو هذا الابن مدمن مخدرات، لذلك فإن هذا الأب شعر أنه يريد أن يتحدث عن كم المعاناة التي عاشها هو كأب لعلاج الابن الرافض للعلاج، وكيف وقع هذا الشاب في براثن الإدمان، وكم من المرات أتصل بالجهات الرسمية لتقديم العلاج وكيف أن هذه الجهات لم تتوان في تقديم يد المساعدة لهذا الشاب، ولكنه لأنه رافض العلاج فإنه يصعب معالجته، وكيف كان يسرق من أمواله ومصوغات والدته حتى يشتري كل تلك المواد المخدرة التي تذهب العقل، وقصص كثيرة ومعاناة يمكن أن تكتب كمسلسل درامي.

وللأسف لم ينتهي الحديث عند هذا الحد من الموضوع، فعندما سمعنا أحد الجالسين بقربنا – وهو رجل كبير في السن أيضًا – قال: وأنا كذلك لدي ابن وهو مدمن شرب الكحول والخمر، فهو يشرب طوال الليل، وفي النهار ينام.

فقلت له: ألا يعمل ؟

قال: لا، فأنا أصرف عليه وعلى زوجته وأطفاله.

وربما انتهى الكلام عند هذا الحد مع هذين الرجلين، إلا أنه لم ينتهي من ذاكرتي فتمر الأيام وأنا أحدث نفسي وأتساءل، لماذا يحدث ذلك ؟ لماذا انتشرت المخدرات في العالم العربي ودول الخليج تحديداً ؟ لماذا يسعى الشباب إلى تدمير نفسه بمثل هذه المواد القاتلة ؟ وأسئلة كثيرة لم أعرف لها إجابات، زمن خلال هذه التساؤلات بدأت ابحث في هذا الموضوع الشائك، وتوصلت إلى الكثير من الإجابات والمعلومات التي تذهل عن هذا العالم، عالم المخدرات والإدمان

ما المخدرات ؟ وما الإدمان ؟

في لسان العرب لابن منظور أتت كلمة "خدر" بمعنى "ستر" يثمد للجارية في ناحية البيت، ثم صار كل ما ورائك من بين ونحوه خدراً، والجمع خدور، واخدار وأخادير جمع الجمع، ولفظ (خدر) ومصدره التخدير، ويعني (ستر). بحيث يقال تخدر الرجل أو المرأة أي أستتر أو استترت، ويقال يوم

خدر (يعني مليء بالسحاب الأسود)، وليلة خدره (يعني الليل الشديد الظلام).

ويقال أيضًا أن المخدر وخدر واختدر وتخدر، والخادر هو الفاتر الكسلان، والخدر تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة، وكذلك هو الكسل الذي يعتري شارب الخمر في ابتداء السكر، أو أنها الحالة التي يتسبب عنها الفتور والكسل والسكون الذي يعتري متعاطي المخدرات، كما أنها تعطل الجسم عن أداء وظائفه، وتعطل الإحساس والشعور.

ويعرف البعض المخدرات من الناحية النفسية أنها مادة طبيعية أو مصنعة تفعل في جسم الإنسان وتؤثر عليه فتغير إحساساته وتصرفاته وبعض وظائفه وينتج عن تكرار استعمال هذه المادة نتائج خطيرة على الصحة الجسدية والعقلية وتأثير مؤذ على البيئة والمجموعة. وهناك من يرى بأنها كل مادة خام أو مستحضرة تحتوي على مواد منبهة أو مسكنة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة أو تؤدي إلى حالة من التعود والإدمان عليها مما يضر بالفرد والمجتمع جسميًا ونفسيًا واجتماعيًا.

وتعرف منظمة الصحة العالمية المخدرات أنها كل المواد التي تستخدم في غير الأغراض الطبية، ويكون من شأن تعاطيها تغيير وظائف الجسم والعقل، ويؤدي الإفراط في تناولها إلى حالة من التعود والإدمان، بالإضافة للآثار الجسمية والنفسية والاجتماعية.

كما وتعرفها أيضًا أنها "مجموعة من العقاقير التي تؤثر على النشاط الذهني والحالة النفسية لمتعاطيها إما بتنشيط الجهاز العصبي المركزي أو بإبطاء نشاطه أو بتسببها للهلوسة أو التخيلات، وهذه العقاقير تسبب الإدمان وينجم عن تعاطيها الكثير من مشاكل الصحة العامة والمشاكل الاجتماعية، ونظرًا لإضرارها بالفرد والمجتمع فقد قام المشرع بحضرها وحظر الاتصال بها ماديًا أو قانونيًا إلا في الأحوال التي حددها القانون وأوضح شروطها".

أنها "أي مواد طبيعية أو مصنعة تحتوي على عناصر مخدرة أو مسكنة أو منبهة أو مهلوسة، تستخدم عادة لتحقيق أغراض طبية، وفي حالة استخدام هذه المواد لتحقيق أغراض طبية فإنها تؤدي إلى التعود على تعاطيها أو الإدمان عليها، ما يؤثر سلبًا في صحة الفرد والمجتمع ماديًا واجتماعيًا ومعنويًا وأمنيًا".

كما يقصد بالمخدرات "المواد الطبيعية والمستحضرة أو المصنعة التي تحتوي على عناصر منبهة أو مسكنة، والتي من شأنها إذا استعملت بشكل متكرر في غير الأغراض الطبية الموجهة أن تؤدي إلى الإدمان وتسبب أضرارًا بدنية وعقلية وتغير في سلوك الإنسان الطبيعي ومزاجه وانفعالاته وعواطفه وأحاسيسه وأسلوب تفكيره".

كما ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على المواد الكيميائية التي يؤدي استخدامها إلى تغيير في المزاج أو الإدراك أو الشعور، ويساء استخدامها حتى تلحق الضرر بالفرد الذي يستخدمها، وبالمجتمع الذي يعيش فيه.

وقد تكون المخدرات مواد طبيعية أو مواد مصنعة، وهي بالأساس مجموعة المواد التي تسبب في إحداث حالة بديلة من الوعي، بالإضافة إلى النعاس والنوم، إلا أنها أصبحت تعني المخدرات النباتية كالحشيش ومشتقاته، والأفيون ومشتقاته، وبدائله الصناعية التي يؤدي استخدامها إلى زيادة القدرة الاحتمالية للفرد، مما يتطلب زيادة في الجرعة باستمرار وصولاً إلى الإدمان.

ويقترب تعريف لجنة المخدرات في الأمم المتحدة من هذا التصور؛ فالمخدرات هي "كل مادة خام أو مستحضرة، تحتوي على مواد منبهة أو مسكنة من شأنها إذا ما استخدمت في غير الأغراض الطبية أو الصناعية أن تؤدي إلى حالة من التعود أو الإدمان عليها، مما يضر الفرد جسمياً ونفسياً وكذا المجتمع".

غير أن عبد الرحمن السماعيل يضيف إلى الأبعاد النفسية سمة التسمم في الجهاز العصبي، بالإضافة إلى البعد القانوني، فالمخدر بالنسبة إليه هي مجموعة المواد التي تؤدي إلى الإدمان وتسبب تسمم الجهاز العصبي، ويترتب على تناولها إنهاك الجسم والعقل ويحظر تداولها أو زراعتها أو تصنيعها أو الاتجار بها إلا لأغراض يحددها القانون، على أن يكون ذلك بوساطة جهات رسمية.

أما الإدمان أو كما تعرفه بعض المراجع "بالاعتماد" عبارة عن اضطراب سلوكي يظهر تكرار لفعل من قبل الفرد لكي ينهمك بنشاط معين بغض

النظر عن العواقب الضارة بصحة الفرد أو حالاته العقلية أو حياته الاجتماعية.

وتشير بعض المراجع إلى أن الإدمان يعد حالة مَرَضية من الاعتماد النفسي والجسدي على مادة تحتوي عناصر مسكّنة أو منبهة، أو على سلوك ما، ومن شأن هذا الاعتماد أن يؤدي بالفرد الى الشعور برغبة ملحة للحصول على المادة أو ممارسة السلوك الذي أدمن عليه بأية وسيلة.

ويميّز الاختصاصيون بين إدمان مادي وآخر سلوكي. ويُقصد بالإدمان المادي بشكل خاص إدمان المخدرات أو الكحول والمهدئات، بينما يطال الإدمان السلوكي ممنوعات ومحظورات مثل الميسر، أو نشاطات عادية يؤدي استحواذها على شخص ما ومبالغته في الانصراف اليها، إلى جعل سلوكه غير مقبول. بل مصدر ضرر له وللمحيطين به، وفي هذا السياق يمكن التحدث عن إدمان الانترنت، أو التسوق، أو العمل أو الرياضة أو الطعام.

وما زال للحديث بقية،،